

"آلام المسيح"

الفيلم الذي قسم العالم

بقلم الأخت أدما حبيبي

تلقّفته هوليوود مركز صناعة الأفلام بين أحضانها شاباً يافعاً ممتلئاً حيوية ونشاطاً بعدما توجّه إليها قادماً من أستراليا التي هاجر إليها مع عائلته من نيويورك التي ولد وترعرع فيها. وسرعان ما وجدت فيه هوليوود كل ما ترغبه في ممثلٍ حدّث ينبض بالرؤى والأحلام الجميلة ويتطلّع باندفاع وإقبال كبيرين إلى المستقبل بكل تفاؤل وأمل. وخلال سنوات قصيرة استطاعت هوليوود أن تصنع منه ممثلاً كوميدياً كبيراً بعد أن منحته أدواراً هامة قام بها في العديد من الأفلام. واشتهر وذاع صيته وهو بعد في أوائل العشرين من عمره.

هذا هو ميل جيبسون Mel Gibson المخرج السينمائي للفيلم الذي صدر مؤخراً فهزّ العالم هزاً، فيلم "آلام المسيح" Passion of the Christ، فقسمه إلى قسمين مع وضد. هذا هو ميل في مقابله مع الصحفية المعروفة دايان صوير Diane Soyer التي أذاعها التلفزيون على محطة ABC. تكلم هذا المخرج بكل قوة وحماس عن الفيلم الذي صوّر فيه الساعات الاثنتي عشرة الأخيرة والرهيبية في حياة الرب يسوع المسيح. وردّ في هذه المقابلة على أسئلة العديدين من المنتقدين التي تمثّلت في أسئلة صوير فقال: إن كلّ قوات الشر لم تكن تريد أن يُصوّرَ هذا الفيلم. ولما سألته لماذا هذا الفيلم؟ أجاب بقوله: إنه رؤيتي أنا . حلمي أن أقوم بتصوير فيلم عن آلام المسيح أو بالأحرى تصوير الساعات الأخيرة من حياته. ولقد أخذت الحقائق كلها من الأنجيل المقدسة الأربعة. لهذا فإن من لديه مشكلة تجاه هذا الفيلم فمشكلته هي مع الكتاب المقدس وليست معي أنا شخصياً. أما أنا فإني أوّمن بالكتاب المقدس إيماناً صادقاً وكاملاً. وعلى سؤال دايان ألا تظن أن الفيلم فيه من العنف الكثير؟ ردّ ميل مجيباً: أجل، هكذا هو بالضبط وهكذا أردته أنا أن يكون. أردته أن يهزّ المشاهد هزاً ، أن يصل به إلى نقطة الصفر ليرى ويعي ويدرك عظمة هذه التضحية الحقيقية وقوتها وعمقها.

ولما سألته دايان عن المبالغة في الوصف والتعبير في هذا الفيلم قال لها: كلا أبدأً. فالصلب عمل فظيع أليم وعنيف ، قرأت عنه في عدة كتب لأطباء كثيرين وكيف كان يتم. فكتبوا عن معاناة الجسد أثناء الصلب ، وكيفية الآلام التي تصاحبه. ثم إن ما صوّر

في الفيلم صور بالضبط حسبما جاءت به الأناجيل الأربعة وليس ثمة زيادة أو نقصان. ألم يصف الآلام نفسها هذه أشعياء النبي إذ قال: مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا؟ هو مات عني يا دايان لكي يمحو كل خطاياي . وعن سؤالها الموجه له على لسان الكثيرين من المنتقدين بأنه ضدّ السامية من خلال تصويره لهذا الفيلم، قال ميل جيبسون هذه الكلمات: ليس هذا هو الهدف من الفيلم أبداً. وأنا لست ضد السامية أبداً. بل على العكس فأنا كمسيحي مؤمن أعتبر أن هذا الاتهام هو ضد مبادئ وإيماني المسيحي. ولما قالت له دايان لماذا رفض أن يكتب عبارة في نهاية الفيلم تبين أن هذا الفيلم ليس ضد السامية ، قال لها: لو فعلت ذلك فإن هذا يعني أن هناك شيئاً ما خاطئاً في الفيلم . و الفيلم ما هو إلا تصوير لوقائع حقيقية حدثت في الساعات الأخيرة لحياة يسوع المسيح. والذين قاموا بالحكم عليه ونفذوا فيه الصلب كانوا من اليهود والرومان. وهذان الشعبان هما اللذان كانا موجودين آنذاك.

قل لي هل حقاً فكرت مرة بالانتحار؟ سألت دايان. أجل، أجاب جيبسون. أطلت رأسي من النافذة وأنا في الطوابق العليا في إحدى البنايات فخطرت في بالي فكرة القفز . أجل أردت أن أقفز من النافذة لأنني كنت قد أحسست عندها أنني وصلت إلى قمة الفراغ الروحي في حياتي، فشعرت بأنه يجب أن أضع حداً لحياتي هذه الخالية من أي معنى أو قيمة.

أعرف أنك أدمنت على الكحول فهل هذا هو السبب الذي حدا بك إلى التفكير بالانتحار؟ أم علام كنت مدمنا يا ميل؟ سألت دايان ؟ آه ..أجاب ميل متتهداً، كنت مدمنا على كل ما يمكن أن يخطر على بالك. على الكحول والمخدرات والطعام الكثير، والتدخين والكافيين . وصلت إلى الحضيض. صرت مكبلاً بقيود . أحسست بفراغ في حياتي لم تستطع كل هوليبود وما فيها من مال وجاه ومركز وسلطان أن تسدّه لي.

وماذا عن زوجتك وأطفالك؟ سألت دايان. زوجتي لمدة أربع وعشرين سنة وأم أطفالي السبعة هي التي شجعتني وكانت إلى جانبي في كل الظروف. أجل زوجتي رد جيبسون هي التي تستحق وساماً تقديراً لها لأنها تحملتني في كل أوضاعي وحالاتي المزرية التي مررت بها. وبعد أن عجزت عن إيجاد حل لحالتي، نظرت إلى فوق، أجل إلى فوق وقلت: هل هناك من يعينني ؟ وصرخت طالبا العون والمساعدة من الله. وعدت لأقرأ الإنجيل المقدس. وتقابلت مع يسوع المسيح الذي صُلب من أجلي أنا. وأمنت به. فعرفت عندها معنى الحياة الصحيح. لهذا صارت عندي هذه الرؤية أن صور هذا الفيلم عن آلام المسيح لكي أبين للناس عظمة هذا العمل وقوة هذه الكفارة والتضحية من أجل خلاص البشرية.

علمت أنك قد حذفتم جملة في الإنكليزية من الفيلم فما هي ولماذا؟ سألت دايان. نعم، أجاب ميل، حذفنا الجملة التي فاه بها الجمهور لبيلاطس الروماني " دمه علينا وعلى أولادنا" باللغة الإنكليزية. لكنها بقيت موجودة في الخلفية باللغة الآرامية. والسبب

هو لأن هذه الجملة بحاجة إلى تفسير وليس لدينا الوقت الكافي لكي نعطي التفسير. فارتأينا أن نلغيها كيلا تأول تأويلات غير صحيحة.

هل تقول إن اليهود هم الذين صلبوا المسيح؟ على هذا السؤال أجاب ميل جيبسون يقول: بالحقيقية يا دايان أنا وأنت وكل واحد منا هو الذي صلب يسوع المسيح على الصليب. صُلب بسبب خطايانا نحن. نحن جميعاً أولاد الله (خليقة الله) ولا يوجد فرق بين شخص وآخر بنظر الله. بل آلام المسيح وكفارته العظيمة هي من أجل الجميع من أجل خلاص البشرية جمعاء.

نعم يا صديقي القارئ، لا يزال عمل يسوع المسيح على الصليب من أجل خلاص البشرية من عقاب خطاياها، يقسم الناس عبر العصور والأجيال. فيقف البعض مكتوفي الأيدي مشككين في حقيقته وهدفه وماهيته. والبعض الآخر يرفع نظره نحو الصليب مؤمناً به من أجل خلاصه من خطاياها. فمن أي الفريقين أنت يا ترى؟ إن الصليب حقيقة تكلم عنها الكتاب المقدس منذ أن سقط أبوانا الأولان آدم وحواء في خطية العصيان. فوعد الله الإنسان منذ ذلك الحين قائلاً بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية الشيطان. وتحقق هذا الوعد بأن أتى يسوع المسيح من نسل المرأة، وحمل بنفسه عقاب خطايا البشرية جمعاء على الصليب. وبعد أن أتم العمل على الصليب إذ قدم حياته فداء للبشر، قام من بين الأموات غالباً ومنتصراً على الشيطان وعلى الموت. فهل اختبرت الحياة الجديدة التي يمنحها يسوع المسيح؟ أم لازلت حتى الآن تقف مشككاً بهذه الحقيقة العظيمة؟